الحركة الفكرية في بغداد في عهد داود باشا 1816–1831م

م.د. كريم عباس حسون الجبوري
المدرية العامة لتربية بابل

Intellectual movement In Baghdad In period of Dawud Pasha(1816-1831)

Lec. Dr. Karim Abbas Hassoun al-Jubouri
General Directorate for the Education of Babylon

Abstract

The period in which Dawud Pasha ruled in Iraq (1816_1831) is considered an important period in the modern history of Iraq even some historians considered it the second best after Midhat Pasha's ruling period (1869-1872). This importance came from the administrative, economic, cultural and military reforms he commenced until he became popular amongst the general puplic for many years ; the remains of his ruling are still noticeable till date especially in mosques constriction therefore , this study sheds the light on the intellectual landmarks that were prominent in this reign especially the construction of mosques and schools in addition to pursuing interest in authors, poet and theologians.

The study divided into three axes, the first one discusses Dawud Pasha's beginnings, holding administrative positions and becoming the ruler of Baghdad until the end of his ruling, the second one sheds the light on the important mosques and schools built or rebuilt in his era while the third axis tackles the authors, poets and scientists who were prominent in Dawud Pasha,s time.

The study depend on many sources and references, including Almisk alathfar in the twelfth and thirteenth centuries by Mahmood Shukry Al-Alusi, and the light decade in the history of Baghdad the mosques for Abduhameed Ibada, History of Iraq between two occupations for Abbas Al-Azzawi, Mamluk ruling of Iraq 1750-1831 for Alaa Mousa Kadhim Nawras, History of Baghdad for historian Suleiman Faeq.

Keywords: Dawud Pash, Baghdad, Schools, Historians, the mosques.

المقدمة

عدت مدة حكم داود باشا على العراق 1816 – 1831 مهمة في تاريخ العراقي الحديث، بل عدّ بعض المؤرخين الثانية بعد مدة حكم الوالي مدحت باشا 1869–1872، وقد جاءت أهمية مدة حكمه نظراً للإصلاحات التي قام بها داود باشا في المجالات الإدارية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، فأصبح أسه على لسان الناس من العامة والخاصة ولسنين طويلة، وأن أثار حكمه ما زالت قائمة لاسيما في المساجد التي لا تزال شاخصة للعيان، لهذا فقد جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهم المعالم الفكرية التي سادت عصر الوالي داود باشا من بناء المساجد والجوامع والمدارس الى الاهتمام بالأدباء والشعراء وعلماء الدين.

جاءت الدراسة بثلاث محاور، تطرق الأول الى نشأة داود باشا وتوليه المناصب الادارية حتى أصبح والياً على بغداد ومن ثم انتهاء حكمه، وسلط المحور الثاني الضوء على أهم المساجد والمدارس التي بنيت أو أعيد بنائها في عهده، وناقش المحور الثالث العلماء والأدباء والشعراء الذين برزوا في عهد داود باشا

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع منها المسك الاذمر في علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر لمؤلفه محمود شكري الالوسي، والعقد اللامع في تاريخ بغداد والمساجد والجوامع لعبد الحميد عبادة، وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي، وحكم المماليك في العراق 1750 – 1831 لعلاء موسى كاظم نورس، وتاريخ بغداد للمؤرخ سليمان فائق.

الكلمات المفتاحية: داود، الباشا، بغداد، المدارس، المؤرخين، المسجد.

المحور الأول: داود باشا ولادته ونشأته وولايته بغداد

ولد داود باشا في مدينة تفليس عاصمة جورجيا عام 1774م، وهو من الطائفة المعروفة بذوي الرؤوس المكشوفة (أجق باش)، اختطفه تجار العبيد وجاءوا به الى بغداد عام 1785، واشتراه مصطفى بك الربيعي الذي باعه أيضاً[1]، وأخذ يتنقل في البيع والشراء من يد الى اخرى الى أن اشتراه والي بغداد سليمان باشا الكبير (1780–1802)[2] الذي كان مولعاً بشراء المماليك[3] لاسيما القادمون من منطقة القوقاز[4]، وتعلم القراءة والكتابة والفنون العسكرية على يد مجموعة من مشايخ بغداد وعلمائها منهم محمد أمين الموصلي وهو من شيوخ القراء الذي نبغ في التجويد والقراءات، وكان اول لقاء بين داود باشا ومحمد أمين في عهد سليمان باشا الكبير عندما كان الاول مهردار ولاية بغداد، والَف كتاباً في الاداء والتجويد، وقد وصفه عثمان بن سند في مطالع السعود، أنه على الرغم من سماحته لا يسلم أحداً من لسانه لاسيما من اتصف بالعلم إذ أنه شديد الاسراع الى الطعن به[5]، ومن مشايخ داود باشا أيضاً الملا حسن بن محمد علي الزوزوجي الذي كان عالماً في النحو والصرف، وسكن بغداد ثم سافر الى البصرة مع سليم باشا في عهد سليمان باشا الكبير عند تسلم الاول متسلمية البصرة، وقد أصبحت له في البصرة مكانه مهمة على الرغم من تعصبه تجاه أهلها[6]، أما أحمد الحافظ فقد عدّ من علماء بغداد المشهورين في بداية القرن التاسع عشر الذين درس على يدهم داود باشا، وقد درس في المدرسة السليمانية، وتخرج عليه الكثير من العلماء، واتسم بالمثابرة والصبر في استحصال العلوم، وتوفي في بغداد عام 1813م[7]، وعدً لطف الله أفندي الحيدري من مشايخ داود باشا، وكان كاتباً لديوان سليمان باشا الكبير، واهتم بالعلوم الرياضية، وكانت له مكانه بين الناس، وتوفي في بغداد عام 1801م[8].

كان من نتائج اهتمام داود باشا في تحصيل العلم أن تفوق على أقرانه واكتسب ثقة سليمان باشا الذي عينه كاتباً في ديوانه وتولى منصب المهردار[9]، ثم أصبح خزندار[10] ولاية بغداد وهو أعلى منصب إداري بعد منصبي الوالي والكتخدا[11]، ونتيجة لتلك الثقة والإخلاص والتفاني في عمله أصبح داود باشا (داماد) أي صهراً للوالي سليمان باشا، إلا أن ذلك التقارب وتلك المكانة التي حصل

(1) عثمان بن سند البصري: مطالع المسعود بطيب أخبار الوالي داود، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية، القاهرة،1371ه، ص7؛ عبدالعزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص41؛ يوسف عزالدين: داود باشا ونهاية المماليك في العراق، منشورات دار البصري، بغداد، 1967، 23-24. ويورد بعض المؤرخين تاريخاً آخر لولادة ومجيئ داود الى بغداد ويرون أنه ولد عام 1867 وجيء به الى بغداد عام 1780. ينظر ستيفن همسلي لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت جعفر خياط، مطبعة الفيض الاهلية، بغداد، 1941، ص257.

(2) أحد المماليك، اشتراه محمد أفندي متسلم ماردين ولما توفي الاخير انتقل الى بغداد ودخل في خدمة والي بغداد سليمان أبو ليلة 1749-1762 وأخذ يتنقل في المناصب الادارية حتى أصبح متسلما على البصرة عام 1765، وكان له دورٌ في مقاومة حصار صادق خان للبصرة عام 1776 إلا أنه اضطر الى الاستسلام ولم يفرج عنه حتى عام1779، تسلم ولاية بغداد عام 1780، وعد من أهم الولاة الذين حكموا بغداد، توفي عام 1802. باقر أمين الورد: بغداد- خلفائها ولاتها ملوكها رؤسائها منذ تأسيسها عام 145ه762م الى عام 1404ه1984م، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984، ص231.

(3) عدَ والي بغداد حسن باشا 1704-1723، أول من جلب المماليك من بلاد القوقاز الى بغداد، وأولاهم اهتماماً خاصاً، وخصص لهم مدارس لتربيتهم وتعليهم القراءة والكتابة والفنون العسكرية والادارية، واعتمد عليهم في ادارة ولايته، ونهج ولده أجمد باشا1723-1747 منهج والده في شراء المماليك فأكثر منهم واولاهم مناصب رفيعة وصاهرهم وأصبح لهم نفوذاً قوياً وتحكموا في شؤون ولاية بغداد حتى اضطر السلاطين العثمانيين الى تعيين أحدهم وهو سليمان أبو ليلة والياً على بغداد عام 1749، واستمر حكمهم حتى عام 1831. عبدالرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، الجزء الاول، مكتبة الزعيم، بغداد، 1962، ص22؛ أحمد علي الصوفي: المماليك في العراق، الموصل، 1952، ص16.

(4) تقع القوقاز بين قارتي اسيا واوربا وتقسم الى قسمين، شمالي وتضم ثلاث دول مستقلة هي جورجيا وارمينيا وجورجيا، وجنوبي وتضم عدد من الدول ذات الحكم الذاتي داخل اطار جمهورية روسيا الاتحادية كالشيشان وانغوشيا وداغستان. للمزيد ينظر. نضال ابوجواد امانة الكرعاوي: القوقاز: دراسة في الصراع الروسي الايراني1501-1828، اطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، 2016،ص8-10.

(5) عثمان بن سند البصري: المصدر السابق، ص171.

(6) المصدر نفسه،ص171-172.

(7) المصدر نفسه، ص172.

(8) المصدر نفسه.

(9) مصطفى بركات: الالقاب والوظائف العثمانية 1517-1924، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص.

(10) وتتكون من مقطعين خزنة بمعنى خزينة ودار بمعنى صاحب أو مسؤول أي مسؤول خزينة الدولةأو الولاية. جعفر خياط: ص360.

(11) وتسمى ايضاً الكهية، كلمة ذات أصل فارسي تتكون من مقطعين، كد بمعنى بيت وخدا بمعنى رب أو صاحب أي رب البيت أو السيد الموقر، واطلقها العثمانيون على الموظف الذي ينوب عن الوالي. مصطفى بركات: المصدر السابق، ص144-145.

عليها داود باشا فقدت بعد وفاة الوالي عام 1802، ونفاه الوالي علي باشا 1802–1807 [1] الى مدينة السليمانية شمال العراق، إلا أنه عاد الى بغداد، وسمح له بالإقامة الإجبارية في داره، وبعد وفاة علي باشا وتعيين سليمان باشا الصغير[2] 1807 – 1810 والياً على بغداد عُيَن داود دفتردار[3] الولاية[4].

وقد ساءت الأحوال السياسية في بغداد في أواخر عهد الوالي سليمان باشا الصغير، لاسيما بعد وصول حالت أفندي[5] الى بغداد لاستحصال الأموال المترتبة على ولاية بغداد، ونتيجة لرفض الوالي دفع المبالغ التي طالب بها حالت أفندي، أعلن الأخير عزل الوالي وجهز حملة عسكرية اشترك فيها عدد من المماليك الناقمين على سليمان باشا الصغير وبمساعدة عبد الرحمن باشا بابان[6]، وتمكن حالت أفندي من دخول بغداد، وعين عبد الله التوتنجي[7] والياً عليها[8].

وأجرى عبدالله التوتنجي تغييرات بين الموظفين الكبار، فعين عدد من المماليك الذين اشتركوا في القضاء على الوالي سليمان باشا الصغير، بينما عزل الموظفين المؤيدين له، وبما أن داود باشا قد تخلى عن سليمان باشا الصغير فقد أعيد الى منصب الدفتردار، ولبث في منصبه هذا حتى تولي سعيد باشا[9] منصب ولاية بغداد عام 1813م فعُيّن بمنصب كتخدا ولاية بغداد[10].

وكان للانشقاق العائلي وسوء التفاهم بين والدة سعيد باشا وداود باشا أثر كبير على منصب الأخير، فقد طلبت والدة سعيد باشا تنحية داود باشا من منصب الكتخدا حتى أنها قالت لابنها ذات مرة **(أن هذا وأشباهه أعدائي منذ عهد عهيد)**[11]، وحاول سعيد استرضاء والدته، وسلك الطرق كافة لإقناعها مؤكداً لها أن داود صهر سليمان باشا الكبير، وهو الذي اختاره لمصاهرته إلا أن ضعف شخصية سعيد باشا وسيطرة والدته عليه أرغمته على عزل داود باشا من منصبه على الرغم من السلبيات التي كان يتوقعها سعيد باشا[12].

وسّع عزل داود باشا من منصبه الخلاف بينه وبين سعيد باشا وأمه اللذان عزما على التخلص من داود باشا الذي ما أن علم بالخطة التي وضعها سعيد باشا وأمه لقتله، حتى خرج من بغداد بحجة الصيد، ولكنه توجه الى كركوك متحصناً بأحد الجبال، وتبعه

(1) تولى ولاية بغداد عام 1803، وتصدى للاضطرابات العشائرية والهجمات الوهابية، قتل عام 1807 خلال تمرد قامت به جنود الانكشارية. باقر امين الورد: المصدر السابق، ص232.

(2) جورجي الاصل، دخل في خدمة سليمان باشا الكبير، وترقى في المناصب الادارية، وتولى ولاية بغداد عام 1807، وحاول نشر العدل والمساواة وتقويض نفوذ القنصل البريطاني في بغداد إلا أن ذلك أدى الى اضطراب الامن، واضطر الى الخروج عن بغداد وتمكنت العشائر منه وقتلته عام 1810. باقر أمين الورد: المصدر السابق، ص233.

(3) أي صاحب أو حامل السجل وتعني أيضاً كبير المحاسبين ويطلق اللقب على الشخص المشرف على الامور المالية. مصطفى بركات: المصدر السابق، ص117-118.

(4) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، المجلد السادس، مكتبة الحضارات، بيروت، ص367 – 368 ؛ سليمان فائق: تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف، بغداد، 1962، ص116 – 117.

(5) أحد المسؤولين العثمانيين، أرسله الباب العالي الى بغداد عام 1810، للتحقيق في التهم التي وجهت الى سليمان باشا الصغير، وأسهم في عزل الاخير وتعيين والياً اخر، وتولى مناصب مهمة في الدولة العثمانية.

(6) أبرز أمراء آل بابان، تولى حكم الامارة عام 1789، عرف بسياسته المتأرجحة بين الموالات للعثمانيين مرة وللإيرانيين مرة اخرى، عارض ولاة بغداد ودخل في حروب معهم، وعزل عن منصب الامارة خمس مرات ولكنه أعيد الى منصبه بعد ذلك، اتهم سليمان باشا الصغير بقتل أخيه عثمان بابان وتعاون مع حالت افندي والمعارضين لإسقاط الوالي وتم له ما أراد، توفي عام 1813. عبد ربه سكران الوائلي، تاريخ الامارة البابانية الكردية، دار الثقافة الكردية، بغداد، 2012، ص162-2011.

(7) أحد المماليك الذين اشتراهم الوالي سليمان باشا الكبير، وكان عمله تهيأت ادوات تدخين الوالي وتحضير التبغ، ثم أخذ يتدرج في المناصب حتى تسلم ولاية بغداد عام 1810 واستمرت ولايته حتى مقتله على يد سعيد باشا وبالتعاون مع شيخ المنتفق حمود الثامر..

(8) علاء موسى كاظم نورس: حكم المماليك في العراق 1750 – 1831، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1975، ص74-83؛ احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص125-129.

(9) هو إبن سليمان باشا الكبير، ولد عام 1790، وتسلم ولاية بغداد عام 1813، وشهد عصره حالة من الفوضى وعدم الاستقرارحتى انتهى ذلك الى قتله على يد داود باشا عام 1816.

(10) سليمان فائق بك: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ترجمة احمد نجيب ارمنازي، مكتبة المعارف، بغداد، ى1961، ص43-44؛ احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص144؛ يوسف عز الدين: المصدر السابق، ص28.

(11) سليمان فائق بك: تاريخ المماليك، المصدر السابق، ص44.

(12) المصدر نفسه؛ يوسف عزالدين: المصدر السابق، ص29.

أعوانه من الناقمين على سعيد باشا[1]، وقد رحب به محمود باشا بابان[2] متسلم كركوك، وأخبر داود باشا الحكومة العثمانية بسوء أوضاع ولاية بغداد، وأصبحت له سمعة كبيرة في أوساط الباب العالي، وبذل صديقه حالت أفندي جهودا في سبيل إسناد ولاية بغداد اليه[3]، ونتيجة لذلك أصدر السلطان العثماني فرماناً بتولي داود باشا منصب ولاية بغداد وعزل سعيد باشا منها، وما أن استلم الأول الفرمان العثماني حتى جهز جيشاً وتوجه الى بغداد التي كانت تعيش حالة سياسية واقتصادية سيئة أجبرت الكثير من أهلها على الخروج منها، وكثرت حالات السلب والنهب، وأصبح سعيد عاجزاً عن تدارك الموقف والوقوف بوجه داود باشا[4].

وفي كانون الثاني 1817، وصلت طلائع جيش داود باشا الى بغداد إلا أن قوات سعيد باشا وبمساعدة من عشائر المنتفق[5] تمكنت من هزيمتها وتراجعت الى شمال بغداد، ورأى سعيد باشا أن بغداد أصبحت في مأمن من قوات داود باشا، فأمر قوات المنتفق والقوات العشائرية الاخرى بترك بغداد لاسيما أن الاموال أصبحت غير كافية لأعاله هكذا أعداد من الجيش، وعلى الرغم من الاجراءات التي اتخذها سعيد باشا لإقرار الامن في بغداد إلا أن الاحوال ساءت كثيراً حتى اضطر كثير من البغداديين الخروج من بغداد والانضمام الى داود باشا، ولم يتوقف ذلك على أهل بغداد بل كان صادق أخو سعيد من الذين انضموا الى داود باشا، وأدت سوء الاوضاع الى قيام ثورة في بغداد بدأت من منطقة باب الشيخ[6]، ولجأ سعيد باشا الى القلعة، وشجعت تلك الاحداث داود باشا للاقتراب من سور بغداد، ثم أرسل جواسيسه لإشاعة خبر عزل سعيد باشا عن ولاية بغداد، وأثّر هذا العمل على أهالي بغداد الذين شكلوا وفداً لمقابلة داود باشا، وتقديم فروض الطاعة له، وطلبوا منه دخول بغداد بأسرع وقت، وعقد عدد من أعيان بغداد وعلمائها وأغوات الانكشارية[7] اجتماعاً اتفقوا فيه على طاعة داود باشا، وفي العشرين من شباط 1817، دخل داود باشا المدينة، واستقبل استقبالاً رائعاً، وقرأ الفرمان العثماني القاضي بتعيينه والياً على بغداد[8].

عدّ داود باشا أهم الولاة من المماليك الذين حكموا بغداد، فقد ضم لسلطته البصرة وكردستان بل تجاوزها الى خارج حدود العراق، وبدأ حكمه بإخضاع العشائر العربية، فوجه حملات عسكرية عليها لاسيما عشائر الدليم[9] واليسار[10] وشمر جربا[11] وشمر طوقه[12]، ولكن على الرغم من تلك الحملات إلا أن الاحوال في العراق ظلت مضطربة، وساعد هروب صادق بك أخو سعيد باشا من

(1) سليمان فائق بك: تاريخ المماليك، المصدر السابق، ص46؛ احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص149-150.
(2) هو ابن عبدالرحمن باشا، تولى الحكم عام 1813، واتبع سياسة والده في الحكم، وكان من المؤيدين لتولي داود باشا ولاية بغداد إلا أنه انقلب عليه وتعرض بسبب ذلك الى العزل عن الامارة ولكنه اعيد اليها، دخل في صراع مع عائلته لا سيما شقيقه سليمان باشا الذي طرده من السليمانية وتوجه الى الاستانة ولم يعد حتى عام 1838، وتولي حكم الامارة عام 1841 بمساعد القاجاريين إلا أنه لم يستطيع البقاء في منصبه إلا عام واحد. عبدربه سكران الوائلي: المصدر السابق، ص213-253.
(3) احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص148؛ يوسف عز الدين: المصدر السابق، ص31.
(4) سليمان فائق: تاريخ المماليك، المصدر السابق، ص 46، يوسف عز الدين: المصدر السابق، ص32-33.
(5) يعود تأسيس إمارة المنتفق الى بداية القرن السادس عشر الميلادي، وهو إتحاد قبلي تحت رئاسة أل شبيب وتكون من قبائل بني مالك وبني سعيد والاجود، واستمرت حتى عام 1918، وأدت دوراً بارزاً في تاريخ العراق الحديث. للاطلاع ينظر، حميد حمد السعدون: امارة المنتفق واثرها في تاريخ العراق والمنطق الاقليمية 1546-1918، دار وائل للنشر، عمان، 1999.
(6) احدى محلات مدينة بغداد وتقع الى جنوبها الشرقي وسميت بهذا الاسم نسبة الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني الذي يقع فيها ضريحه، وكانت تسمى قبل ذلك بباب الازج أو باب الطلسم إحدى بوابات بغداد. جمال الدين فالح الكيلاني: الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصر، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب، بغداد، 2011، ص211.
(7) ومفردها أغا وتعني السيد أو الكبير أو الشيخ ولقب به الموظفون العسكريون والمدنيون على حد سواء كأغا الانكشارية وأغا الخصيان وغيرهم. مصطفى بركات: المصدر السابق، ص173-174.
(8) سليمان فائق: تاريخ المماليك، المصدر السابق، ص48، عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص265-274.
(9) من القبائل العربية القحطانية، هاجرت من اليمن واستقرت في أواسط الفرات في المنطقة المعروفة بلواء الدليم، وتعني الاظلم، وتنقسم الى عشائر كثيرها منها المحادة والبوعلوان والبونمر وغيرهم. ثامر عبدالحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، مكتبة الصفا والمروة، لندن، ج1، ص39-40.
(10) يعود أصلهم الى طي، وتنتشر في محافظة بابل وبغداد ونينوى ومناطق اخرى. ثامر عبدالحسن العامري: المصدر السابق، ج1، ص98.
(11) سميت بهذا الاسم نسبة الى رؤسائهم من آل الجرباوهاجرت من نجد بسببنزاعهم مع قبيلة عنزة، واستقرت في مناطق عدة من العراق وسوريا. ثامر عبدالحسن العامري: المصدر السابق،ج1، ص138.
(12) هاجرت من نجد واستقرت في الجهة الشرقية من نهر دجلة بين بغداد والكوت، وتعود تسميتهم الى الاستقرار والعمل الزراعي والذي يتطلب الخضوع للدولة وهذا ما اعتبره أبناء العشية طوقاً على رقابهم. ثامر عبد الحسن العامري، المصدر السابق، ج1، ص168.

بغداد ولجوئه الى عشيرة زبيد[1] الى قيام تجمع عشائري ضد داود باشا تكون من زبيد والعبيد[2] إلا أن سرعة تحركات داود باشا وهجومه المباغت أفشل التحالف العشائري، وعزل رؤساء العشائر الثائرين وعين رؤساء بدلاً عنهم أدانوا بالطاعة له[3].

وعلى الرغم من تلك الاجراءات التي اتخذها داود باشا ضد العشائر إلا أن الأمن بقى مضطرباً لاسيما في الفرات الاوسط[4]، وعندما تم لداود باشا تسوية الامور مع الدولة القاجارية[5]، جهز قوات لضرب التحالف الذي تم بين شيخ زبيد شفلح الشلال وشيخ العبيد جاسم بك الشاوي وعشائر عفك[6] وصادق بك، وقد أدت تحركات داود باشا العسكرية تلك الى تفكك التحالف العشائري، فانسحبت عشائر عفك، واستسلم الشيخ شفلح، ولجأ صادق بك الى الحويزة ولكنه طلب الأمان من داود الذي أمّنه وعاد الى بغداد، أما جاسم بك فقد توجه الى شمال العراق، وحاول استمالة اليزيدية[7]، وعندما علم داود باشا بذلك جهز حملة عسكرية قضت عليهم[8].

لم تكن الاضطرابات العشائرية هي الوحيدة التي واجهها داود باشا؛ وأنما واجه خيانة بعض مساعديه في الحكومة، فقد اتهم كتخداه السابق يحيى أغا بمراسلة محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه، واطلاعه على اسرار ولاية بغداد، وعندما افتضح أمره، وعثر على مكاتباته المختومه بختمه، ألقى القبض عليه وأعدم، كما أعدم أيوب أغا رئيس الانكشارية لاتهامه بمراسلة القاجاريين أيضا، وفي عام 1821 خرج عليه كتخداه محمد أغا[9] والتحق بالجيش القاجاري الذي توجه الى بغداد، وعندما تم الصلح بين القاجاريين والعثمانيين توجه الى الحلة واتخذها قاعدة له فجهز داود باشا حملة عسكرية عام 1825، تمكنت من دخول الحلة، وهرب محمد أغا الذي قتل بتدبير من داود باشا عام 1829[10].

اتسمت علاقات داود باشا مع الدولة القاجارية بالمد والجزر، وكان لتأرجح الامراء الاكراد ولاسيما آل بابان[11] أثر في تلك العلاقة، فبعد أن انتهت أمال بعض الامراء البابانيين لتولي مناصب ادارية اتجهوا الى القاجاريين، وقد اتخذ محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه هؤلاء وسيلة لأشعال نار الحرب واثارة الفتن والاضطرابات على الحدود، وأمر عبد الله باشا وأحمد باشا من امراء آل بابان بالهجوم على خانقين، ولما سمع داود باشا بذلك كتب الى الاستانة بذلك، وجهز حملة عسكرية لأرسالها الى الحدود وشرع بتقوية

(1) تعود في اصولها الى القبائل القحطانية اليمنية وهم بطن من مذحج واميرهم سعد بن مكرب الزبيدي وهي كثيرة البطون والافخاذ، استقرت في مناطق متعددة من شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام. ثامر عبدالحسن العامري المصدر السابق، ج2، ص13-14.

(2) تنتمي الى زبيد الاصغر القحطانية، وتكونت من ثلاث مجاميع رئيسة وهي المشاهدة والبوهيازع والبوعلي، وسكنت مناطق متعددة من كركوك والموصل وبغداد وغيرها من مناطق العراق. ثامر عبدالحسن العامري، المصدر السابق، ج2، ص87-89.

(3) عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص281 – 286،283-290،287.

(4) أهم مناطق العراق وأخصبها تربة وأقدمها حضارة، وتمتد بامتداد نهر الفرات من جنوب بغداد شمالاً وحتى شمال مدينة الناصرية جنوباً، وتضم خمس محافظات.

(5) أحدى الدول التي نشأت في ايران عام 1795، أسسها أغا محمد خان الذي تمكن من القضاء على منافسيه جميعهم، وشملت معظم أراضي ايران فضلاً عن أجزاء من أذربيجان وأرمينيا، واتخذت من طهران عاصمة لها، واستمرت في حكم ايران حتى عام 1925، وتوالى عليها سبعة ملوك، وينتمي القاجاريون الى العنصر التركي. للمزيد من الاطلاع ينظر حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ ايران السياسي، المجلد الثالث، الدار العربية للموسوعات،بيروت،2008، ص177-358.

(6) تقع مدينة عفك في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة الديوانية، وسميت بهذا الاسم نسبة الى محمد بن خليفة المعروف بالعفاك، وسكنت عفك مجموعة من العشائر تعود أغلبها الى القبائل القحطانية. عادل مدلول علي: عفك في العهد الملكي 1921-1958، مجلة مركز الدراسات البابلية، المجلد 9، العدد1، ص37-40.

(7) وتسمى الايزيدية أيضاً، مجموعة عرقية دينية تنتشر في العراق فضلاً عن سوريا وتركيا، ويتركزون في منطقتي سنجار وشيخان التابعتين الى محافظة نينوى في العراق، وديانتهم مزيج من الديانات القديمة كالزرادشتية والمانوية، وأهم رموزهم الدينية عدي بن مسافر وطاووس ملك. وللمزيد من الاطلاع ينظر، عبدالرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، 1961.

(8) رسول الكركوكي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمه موسى كاظم نورس، بيروت، 1963، ص286–287؛ احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص163-164؛ علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق، ص104- 106.

(9) من وجهاء قبيلة أباضة، تسلم مناصب إدارية في عهد ولاة بغداد على باشا وسليمان باشا وعبدالله بشا ولكنه عرض حكم سعيد باشا والتحق بداود باشا الذي عينه كتخدا عام 1817، واسند اليه عام1821 قيادة الجيش العثماني لصد الجيش الفارسي إلا أنه خسر المعركة والتحق بالجيش الفارسي، وتمرد على داود باشا، ودخل مدينة الحلة عام 1825 وأعلن الثورة ضد العثمانيين الذين تمكنوا من القضاء عليها وهرب محمد أغا الى الحويزة وقتل هناك. كريم مطر حمزة: الحلة في عهد داود باشا، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، المجلد1، العدد3، 2009، ص224-227.

(10) سليمان فائق: تاريخ بغداد، المصدر السابق، ص، رسول حاري الكركوكي: المصدر السابق، ص277.

(11) امارة كردية نشأت عام 1784 في منطقة بشدر وتوسعت على حساب المناطق الاخرى، وبلغت قوتها في بداية القرن التاسع عشر، وسقطت عام 1856. وللاطلاع اكثر ينظر، عبدربه سكران الوائلي: تاريخ الامارة البابانية الكردية: دار الثقافة والنشر الكردية، بغداد، 2012.

الحصون ووسائل الدفاع، وعندما وصلت الاخبار الى الاستانة، أعلن الباب العالي الحرب على الدولة القاجارية عام 1820، والتي استمرت حتى عام 1823، وكانت مادة الحرب هي امراء آل بابان الذين انقسموا على قسمين: الاول برئاسة محمود باشا بابان الذي أيّد حكومة بغداد، وأصبح والياً على شهرزور والسليمانية وكوي وحرير، والثاني برئاسة عبد الله باشا بابان الذي أيّد الدولة القاجارية، وقاد عدد من الحملات العسكرية ضد العثمانيين وتمكن في عدد منها من دخول السليمانية، وفي نهاية الامر تم الاتفاق بين العثمانيين والقاجاريين على تعيين محمود باشا حاكماً على السليمانية وعبد الله باشا حاكماً على كوي[1].

وواجه داود باشا خطراً أخراً لايقل عن الخطر القاجاري، وتمثل ذلك بتزايد نفوذ القنصل البريطاني في بغداد كلودبوس جيمس ريج G.J.Reige، الذي أصبح على درجة من النفوذ فاق نفوذ والي بغداد، كما أصبحت القنصلية البريطانية ملجأً لكثير من العراقيين الذين استعانوا بها ولاسيما أن أهل بغداد نظروا الى ريج أنه المهيمن علي سياسة الوالي[2].

وعلى الرغم من أن علاقة الوالي بالقنصل كانت جيدة، إلا أنها سرعان ما تغيرت لاسيما بعد رفض القنصل تقديم مساعدة لوالي بغداد ضد القاجاريين، كما أن اتصالات بين ريج وحاكم كرمنشاه أثارت شكوك داود باشا الذي منع ريج من مغادرة بغداد، وحاول فرض حصار على المقيمية البريطانية، وعندما علم ريج بنوايا الوالي وضع حرس القنصلية في حالة دفاع إلا أنه امرهم أن لا يطلقوا النار[3].

وقد أدرك داود باشا نتائج عمله هذا، وحاول مفاوضة المستر ريج الذي رفض مفاوضة الوالي الا بعد سحب الجند المحاصرين للقنصلية، فوافق داود باشا على ذلك، وتم الاتفاق على الترخيص لريج بالخروج من بغداد مقابل أن يكتب رسالة يرضى فيها عن الباشا، وقد سبق لريج أن كتب الى الحكومة البريطانية في بومبي يعلمها بأحوال القنصلية في بغداد، فابرق حاكم بومبي البريطاني كتاب إلى الى داود باشا طلب فيه إطلاق حرية التحرك لريج، ونتيجة للضغط البريطاني على الوالي تراجع سياسته تلك، وبدأ في تخفيض الضرائب على البضائع البريطانية، وأكد التزامه بحماية البريطانيين الموجودين في ولايته، وبدأت مفاوضات بين داود باشا والمقيم البريطاني تايلور الذي خلف ريج وانتهت بعقد اتفاقية في أب 1823، والتي تضمنت اثنا عشر شرطاً جاءت جميعها لصالح البريطانيين دون أن يجني منها داود باشا شيئاً[4].

المحور الثاني: المساجد والمدارس في بغداد في عهد داود باشا

كان بناء المساجد وظهراً من مظاهر التقوى والصلاح، وعن هذا الطريق يكسب الحكام محبة الشعوب التي حكموها، وقد عرف داود باشا هذه الميزة، وكانت للمساجد فضلاً عن أنها أماكن للعبادة والتقوى تقوم بدور كبير في تثقيف الخاصة والعامة من الشعب، وأدرك داود باشا حقيقة مهمة وهي أن أسباب تفكك العراق هو ما كان يسوده من هيمنة الثقافة الدينية الناتجة عن الطرق الصوفية التي استطاعت التغلغل بين أعداد كبيرة من السكان نتيجة انخفاض المستوى الثقافي لهم، ولذلك اهتم داود باشا بالعلم والادب لاسيما أنه كان عالماً واديباً درس على يد ابرز علماء بغداد بين أروقة مساجدها ومدارسها، واحتك بالسكان احتكاكاً مباشراً مما جعله اكثر ادراكاً لقيمة التعليم وما له من اهمية في نهضة العراق الادبية والعلمية وتطورها، وعليه فأن ابرز ما تبدوا واضحة في عهد داود باشا هو بناء معاهد العلم، وبذل جهوداً كبيرة في بناء عدد من المساجد والمدارس الملحقة بها فضلاً عن ترميم عدد من المساجد القديمة حتى وصل عدد المساجد والمدارس التي بنيت في عهد داود باشا أو تم ترميها ثمان وعشرون مسجداً ومدرسة ملحقة به [5].

(1) سليمان فائق: تاريخ بغداد، المصدر السابق، ص ؛ احمد علي الصوفي: المصدر السابق، ص169-174؛ ستيفن همسلي لونكريك: المصدر السابق، ص293 – 300.
(2) ستيفن همسلي لونكريك: المصدر السابق، ص307.
(3) المنشئ البغدادي: رحلة المنشئ البغدادي، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد، 1948، ص18 – 20، ستيفن همسلي لونكريك: المصدر السابق، ص307، عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص301 – 302.
(4) المنشئ البغدادي: المصدر السابق، ص19، علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق، ص110 – 113.
(5) عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص296 – 297 ؛ فاطمة شمخي هندي الغريباوي: الحركة الفكرية في بغداد1869-1914، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1999، ص13.

عدّ جامع ومدرسة الحيدر خانة من أهم اعمال الوالي داود باشا العمرانية، وقد شُيّد على أنقاض جامع قبله، فقد اكتشف اثناء التعمير الذي قامت به وزارة الاوقاف عام 1966، قطعة من الرخام فيها ابيات شعرية تشير الى مسجد بني عام 1207هـ/ 1792م، وعدّ جامع الحيدر خانة اوسع جوامع بغداد، وتقام فيه الصلاة الخمس وكذلك المناسبات الدينية والاعياد وصلاة الجمعة، وقد انشأ داود باشا مدرسة ومكتبة كبيرة وجامعة لأهم الكتب الدينية والعلمية، خطية ومطبوعة، ويحتوي الجامع على قبة معقودة بالحجر والجص، مفروشة بالحجر الكاشاني الملون، وهي ذات شكل مخروطي قد حرر عليها بعض الآيات القرآنية، كما كتب على احد واجهات الجامع قطعة أدبية اشارت الى أن داود باشا هو الذي قام ببناء الجامع، وقد خصصت للمكتبة احدى غرف الجامع، وعين لها موظف يقوم بالحفاظ عليها، واطلق على المدرسة اسم المدرسة الداودية تيمناً باسم الوالي، ورصد لها اموالا، وعين راتباً لمدرسها[1].

وقد أوقف داود باشا لجامع الحيدر خانة أوقاف كثيرة منها دكاكين عدة ومخزن في سوق رأس الجسر ومخزن في خان الزوار ودكاكين وغرفة في خان المصبغة ودكاكين ومصبغة ومقهى في سوق الحيدر خانة وأوقاف أخرى في مناطق عدة من بغداد التي لم تقتصر أوقاف الجامع عليها؛ وإنما أوقف داود باشا بستاناً في مدينة الحلة وأوقافاً أخرى في مدن عراقية عدة[2]

وكان جامع الأوزبك من جوامع بغداد القديمة، ويعود تاريخ بنائه الى حوالي عام 1650م، وعندما آل الى السقوط، أمر داود باشا بإعادة بنائه عام 1826، وقد ارخ الشاعر صالح التميمي[3]، أبيات شعرية بمناسبة افتتاح الجامع، واصبحت للجامع رواق متصل به يقطنه الفقراء من زوار بلاد الأوزبك في أسيا الوسطى، وعين للجامع إماماً وخطيباً ومدرساً وموظفاً مسؤولاً عن الرواق، كما أنشا في الجامع سقاية مطلة على الطريق، وكان من ابرز شيوخ الزاوية محمد أمين أفندي، وامر داود باشا بصرف الاموال على الجامع من أمواله الخاصة ثم أوقف عليه دكاناً ومتجراً واقعين في ساحة الميدان[4]. المدرسة العلية من مدارس بغداد المشورة في عهد الوالي داود باشا، اسسها والي بغداد علي باشا عام 1761، وتقع على ضفة نهر دجلة اليمنى، وأوقف لإدارة شؤونها جزء من املاكه الواقعة في مدينة الحلة [5].

واهتم داود باشا بالمدرسة السليمانية التي أسسها سليمان باشا الكبير عام 1791، وجمع لها الكثير من الكتب العلمية، واوقف لإدارتها خاناً ودكاكين في سوق القزازين، وبستان في باب المعظم، وحديقة في جانب الكرخ[6].

وشيّد داود باشا جامع المصّرف الذي يقع في محلة الفضل، وكانت مادة بنائه الحجارة والجص، وبنائه صغير الحجم، وأُقيمت فيه الصلاة اليومية والجمع والاعياد والمناسبات، كلّف ببنائه احمد أفندي المصّرف وكان مأموراً للصرف في عهد داود باشا، والحقت بالجامع مدرسة، ودرَس فيها الملا حسن بن بكتاش، واوقف احمد افندي على ادارة الجامع والمدرسة بستاناً واقعاً في الحلة وبساتين اخرى في قضاء كفري والخالص، وخصص راتباً للمدرس مقداره أربعون قرشاً[7].

أما جامع الفضل الذي سمي ايضاً بأزهر بغداد، فكان في بادئ الامر مسجداً صغيراً ضم قبر الامام محمد الفضل[8] فقط، وجدد الجامع في عهد سليمان باشا الكبير الذي أمر بشراء بعض الدور المجاورة له فألحقها به، ووسع فنائه، ودرس فيه الشيخ رسول

(1) عبد الحميد عبادة: العقد اللامع في تاريخ بغداد والمساجد والجوامع، ص241 – 245؛ محمود شكري الالوسي: تاريخ مساجد بغداد واثار ها، تحقيق د. عبد الله الجبوري، ص140 – 146؛ عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص336.
(2) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص247-248.
(3) ينظر موضوع الشعراء في عهد داود باشا.
(4) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص 15 – 116، فاطمة شمخي: المصدر السابق، ص 13، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: تاريخ مساجد بغداد الحديثة، مطبعة الامة، بغداد، 1977، ص265.
(5) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص143- 144، فاطمة شمخي: المصدر السابق، ص13.
(6) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص 150 – 186، فاطمة شمخي: المصدر السابق، ص 13.
(7) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص 184 – 186.
(8) هو محمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق(ع)، ويعد خاتمة أئمة الطائفة الاسماعيلية، والقائم المنتظر. عبدالحميد عبادة: المصدر السابق، ص196.

بن أحمد المشهور بالشوكي، وخصص له راتباً قدره اربعمائة وخمسين قرشاً في العام، ثم عين الشيخ سعدي افندي مدرساً في عهد سعيد باشا واستمر في التدريس في عهد داود باشا ايضاً[1].

وكان جامع الخاتون قبل بنائه مقراً للمدفعية، ثم أمرت منور خاتون زوجة سليمان باشا الكبير ببنائه، وخصصت لأدارته بستاناً في الحلة وآخر في مندلي وتولى ادارة تلك الاوقاف رجل يدعى عبد الغني حتى وفاته عام 1845م، وكان اشهر المدرسين الذين كلفوا للتدريس فيه عبد الوهاب أفندي الذي عدّ من اشهر تلامذة محمد فيضي الزهاوي[2]، وله مؤلفات عدة منها ((الاجوبة البصرية عن الاسئلة النحوية)) و((وهداية الوصول في الفرق بين النبي والرسول))[3].

وعدَ جامع الآصفية من جوامع بغداد القديمة، واتخذته المولوية[4] زاوية لهم فسمي بالموليخانة، وبعد أن آل الى السقوط اتخذ مقراً للجنود العثمانيين، ثم أمر داود باشا بإعادة بنائه، وعين له مؤذناً وخطيباً، وبني بجانب الجامع دكاكين عدة اوقفها لإدارة الجامع، وعندما اكتمل البناء، استدعى داود باشا العلماء، واستفتاهم بفتح باب آخر، فأشاروا عليه بفتح الباب، ومدحه الشاعر صالح التميمي في قصيدة مطلعها:

أثار داود أثار بها لبست بغداد حُسناً يروق العين واضحة

ثم أنشأ داود باشا مأذنتين والتي أرخت بنائهما بأبيات كتبت على الحجر الكاشاني، وضم الجامع مدرستان للتعليم، وعين لهما مدرسين اثنين مع مكتبتين، فأصبحت من اهم المراكز العلمية في بغداد في عهد داود باشا، وقد سمي الجامع بالآصفية بسبب اللقب الذي اتخذه داود باشا (آصف) نسبة الى آصف وزير نبي الله سليمان (ع)[5].

وبنى محمد أمين أفندي السويدي عام 1823 مدرسة عرفت بمدرسة السويدي وكانت سابقاً دار لسكن آل السويدي، وأصبح محمد أمين أول مدرسٍ لها، وكانت ذات طابقين، وكان المدرس يجلس في الطابق العلوي، واستمر التدريس في المدرسة حتى وفاة محمد أمين السويدي عام 1830م، إذ توقف التدريس فيها بعد وفاة صاحبها في العام نفسه[6].

وكان جامع الجسر جامعاً صغيراً ومنحرفاً عن القبلة، ويقع في الجانب الغربي لبغداد، وأمر داود باشا بإعادة بنائه، كما بني بجانبه دكاكين عدة أوقفها لإدارته، ثم بني غرفتين صغيرتين خصصهما للتدريس، وعين عبد العزيز أفندي الشواف مدرساً فيه، وسمي بهذا الاسم نسبة الى جسر بغداد الوحيد في العهد العثماني[7].

وشيَد جامع السيف في عهد الوالي داود باشا عام 1820، وأرخ الشاعر صالح التميمي تاريخ بنائه بأبيات من الشعر كان مطلعها:

كم شاد داود بوادي الهدى بيتاً سمت بالفضل أركانه

وأنشأ في الجامع مدرسة لتدريس العلوم العقلية والنقلية، وعين لها مدرساً خاصاً، وخصص له راتباً يصرف عليه من اوقاف الجامع[8].

(1) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص190 – 192، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، المصدر السابق، ص280.
(2) لقب بهذا اللقب نسبة الى مدينة زهاو الايرانية، ولد في السليمانية ودرس فيها وانتقل الى بغداد عام 1256ه، ودرس على يد علمائها وأدباءها، وبرز اسمه في المجالس البغدادية، وعين عام 1273 مفتياً للحنفية، توفي عام 1308ه. محمود شكري الالوسي: تاريخ مساجد، المصدر السابق، ص83.
(3) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص221 – 224.
(4) أحدى الطرق الدينية الصوفية قامت على فكرة الوجود، ويتميزون عن الطرق الاخرى بالاستعانة بالموسيقى على تحريك نشوة التصوف. عبدالحميد عبادة: المصدر السابق، ص328.
(5) المصدر نفسه، ص327 – 330، فاطمة شمخي: المصدر السابق، ص13، محمد سعيد الراوي: خير الزاد في مساجد وجوامع بغداد، تحقيق د. عماد عبد السلام رؤوف، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بغداد، 2006، ص77-83.
(6) المصدر نفسه، ص13، عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص502 – 503.
(7) عبد الحميد عبادة: المصدر السابق، ص514.
(8) المصدر نفسه، ص516.

المحور الثالث: علماء وادباء بغداد في عهد داود باشا

لم يقتصر اهتمام داود باشا على بناء المساجد والتعليم؛ وإنما شمل العلماء والادباء، وكانت صلة داود باشا بأولئك قوية جداً قبل توليته باشوية بغداد، وحرص على تلقي العلوم على كبار عصره، ووثق علاقته مع العلماء والادباء، وأصبح داود باشا والياً على بغداد، ووجه اهتماماته لرعاية أهل العلم، واخذ يوزع الاموال والهبات والمناصب على هؤلاء، وقد شهد عهده هجرة اعدا كبيرة من العلماء والشعراء والادباء من الموصل والبصرة وكركوك الى بغداد، ونتيجة لذلك اتسعت الحركة الثقافية في بغداد، وكان مجلس الوالي حافلاً بالأدباء والشعراء والكتاب المشهورين، وكان شخصياً يثير هؤلاء روح المنافسة بينهم، ويحثهم على التأليف ونظم الشعر، وبالغ في تكريم من يتفوق منهم، وقد ادى ذلك الى ظهور بعض المؤثرات التي اتجهت الى شيء من التجويد في بعض الافكار والموضوعات[1].

شمل اهتمام داود باشا بالعلوم والمعارف كافة ولم يقتصر على ناحية واحد منها، فقد رعى علماء الدين، واهتم بالشعراء وعلماء اللغة والادب والمؤرخين، فنشأت بذلك طبقة من هؤلاء كان لهم دور كبير في نشر العلم والمعرفة في بغداد ومناطق العراق كافة.

ففي مجال العلوم الدينية، برز عدد كبير من العلماء في الفقه والاصول كان لهم دور كبير في حركة التجديد والنهضة العلمية في العراق، وكان ابرز هؤلاء عبد الله أفندي الالوسي: احد علماء بغداد في عهد داود باشا، برز في حقول العلم ولاسيما الدينية منها، وكانت له مؤلفات عدة في الفقه واصول الدين، واصبحت له شهرة كبيرة، فقصده طلبة العلم من بغداد وخارجها[2].

عدً الشيخ ابو المعالي علي بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ عبد الله المعروف بالسويدي البغدادي أهم علماء الدين في بغداد، وكان اعلم أهل عصره في الحديث، ولم يقتصر علمه على العلوم الدينية بل له اهتمام كبير بالعلوم الدنيوية، وتمتع بقوة الحفظ وفصاحة اللسان، وقد نال حظوة عند سليمان باشا الصغير، ثم أصبح من المقربين للوالي داود باشا، له مؤلفات عدة منها، العقد الثمين، وكتاب في شرح العقائد السلفية[3].

وبرز الشيخ محمد سعيد بن الشيخ عبد الله السويدي، كأحد مشايخ الطريقة النقشندية، وبرع في علم الحديث، واهتم في علوم الدين والادب والشعر، له قصيدة في مدح الرسول (ص) وقد اهتم بالتأليف ولاسيما مؤلفه ((ايصال الطالب للمطلوب)) وهو في التصوف، وقد توفي في الطاعون الذي اجتاح بغداد عام 1831[4].

ومن علماء بغداد الذين تبوؤا مكانة مهمة هو الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي الذي كان على جاني عظيم من الحفظ، وقد ولد في بغداد، وكان شافعي المذهب إلا أنه اعتنق المذهب السلفي، وله مؤلفات عديدة منها شرح العمدة في فقه الشافعية، وحاشية على شرح القطر، ورسالة في الكلام، وتوفي في بغداد عام 1237هـ، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي[5].

وكان الشيخ محمد بن حسين آل عبد اللطيف البغدادي شافعي المذهب، له رواية بفنون العربية، وبرز في علوم الدين والمنطق، وكانت له حلقة دراسية في جامع مرجان، وتوفي في بغداد عام 1265هـ.

أما الشيخ محمد آل عبد اللطيف الراوي الذي ولد في بغداد عام 1220هـ، ودرس على ابيه مقدمات العلوم العقلية منها والنقلية، كما درس على يد العلامة محمد اسعد أفندي الحيدري مفتي الحنفية، واخيه عبد الله أفندي الحيدري مفتي الشافعية، فكان من أعظم فقهاء الشافعية، وكان يلقب بالشافعي الثاني وسيبويه الثاني، وكان محبوباً لدى العامة والخاصة، وقد اسند اليه التدريس في مدرسة مرجان، وأبرز مؤلفاته ((رسالة في صلاة الظهر بعد الجمعة)) و((رسالة في حكم الخضاب))[6].

(1) عبدالعزيز سليمان نوار: المصدر السابق، ص312 – 313: فاطمة شمخي: المصدر السابق، ص14 – 15.
(2) محمود شكري الالوسي: المسك الاذفر، المصدر السابق، ص125 – 127.
(3) المصدر نفسه، ص225 – 226.
(4) المصدر نفسه، ص234 – 235.
(5) المصدر نفسه، ص236 – 237، عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1962، ص135.
(6) محمود شكري الالوسي: المسك الاذفر، المصدر السابق، ص263 – 264.

وكان السيد أسعد صدر الدين بن عبد الله أفندي البدري مفتي الحنفية في بغداد، واشتغل في التدريس مدة اربعين عام على التوالي، ودرس على يده كثير من علماء بغداد، وكان اشهر من درس عليه الوالي داود باشا، حيث لازمه سبع عشرة عام، اهتم بالتأليف، وكانت اشهر مؤلفاته ((حاشية على تحفة المحتاج)) و((حاشية على حاشية عبد الحكيم علي الخاني)) و((هوامش علي حاشية العلامة اللفاني على شرح الالفزي للتفتازاني)) و((حواشي على القرة باغي)) و((هوامش علي الطحاوي)) و((شرح على الغز البهائي)) وتوفي عام 1238هـ – 1822م[1].

وبرز السيد عبيد الله بن عبد الله الحيدري كأحد علماء بغداد ومفتي للحنفية، وخليفة خالد النقشبندي، ونال الكثير الاجازة علي يده، وهو الذي توجه الى شاه فارس بصحبة الشيخ خالد الذي أمره بالعودة الى العراق، وقد اشتغل بالإفتاء، واخذ العلم على اسعد الحيدري والشيخ عبد الرحمن الروزبهاني، وتوفي عام 1246هـ – 1830م[2].

أما ابراهيم ابن صبغة الله الحيدري بن اسعد بن صدر الدين المعروف بفصيح الحيدري، فقد أخذ العلم عن علماء عصره ومنهم الشيخ يحيى أفندي العماري والشيخ عبد الرحمن الروزبهاني، وقد برع في التأليف سواء في الدين أو التاريخ، وكانت ابرز مؤلفاته: ((عنوان المجد غي تاريخ نجد)) و((شرح نظم النخبة)) و((شرح مقاصد النووي)) و((حاشية على الدر)) و((حاشية على كتاب سيبويه))، وقد تجاوزت مؤلفاته الاربعين مؤلفاً، وعمَر طويلاً حتى ادركت عهد السلطان عبد العزيز واسهم في خلعه[3]، وكان والده المعروف بصبغة الله أفندي الحيدري فقد أخذ العلم عن والده وكبار علماء عصره، واسهم في التدريس والتأليف، وكانت اشهر مؤلفاته: ((شرح الشمسية في المنطق)) و((شرح العصام على رسالة البيان)) و((حاشية عبد الحكيم الهندي على الطول))[4].

وكان الشيخ عبد الفتاح أفندي الراوي وهو ابن الشيخ عبد الله أفندي قد ولد عام 1180هـ – 1766م، ودرس على يد أبيه، وبرع في العلوم العقلية والنقلية، واسند اليه مهمة التدريس في مدرسة شهاب الدين السهروردي، وقد قصده طلاب العلم من مختلف المناطق الاسلامية، وتوفي عام 1242هـ – 1826م[5].

وتقلد عبد الله أفندي بن غياث الدين البدري منصب الافتاء للشافعية، وأخذ العلم عن عمه السيد اسعد صدر الدين وتصدى الى الافتاء والتدريس والتأليف، وكانت اشهر مؤلفاته: ((حاشية محمد حسين على ميرابي الفتح))، وتوفي عام 1246هـ – 1830م[6].

المؤرخون في عهد داود باشا

برز في عهد داود باشا مؤرخين تركوا بصمتهم على الساحة الفكرية وكان ابرزهم رسول حاوي الكركوكي وهو من اسرة كركوكية اشتغل أهلها بالكتابة والانشاء أي المحررات الرسمية للدولة العثمانية في سراي بغداد، وقد هاجر المؤرخ رسول الى بغداد عام 1805–1220هـ، وعمل كاتباً بالمصرفخانه في عهد الوالي داود باشا، الذي كلفه بكتابة الاحداث التاريخية في بغداد، فقام بالأمر، وكتب تاريخه المشهور ب((دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء))، وقد ذكر المؤرخ في كتابه وقائع تاريخية لتسع وتسعين عاماً، وترجم لنحو عشرين وزيراً، ثم اضاف اليها وقائع ست سنوات من حكم داود باشا، وقد إبتدأ تاريخه الذي كتبه باللغة التركية، من عام 1132هـ، وانتهى عام 1237، وقد أصبح الكتاب ذيلاً لكتاب كلشن خلفا للمؤرخ التركي محمد نظمي زاده، وتوفي في بغداد عام 1826م – 1242هـ[7].

(1) المصدر نفسه، ص112 – 114.
(2) محمد سعيد الراوي البغدادي: المصدر السابق، ص115 – 116.
(3) المصدر نفسه، ص122 – 124.
(4) المصدر نفسه، ص127.
(5) المصدر نفسه، ص75 – 76، عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي، المصدر السابق، ص129 – 130.
(6) محمد سعيد الراوي البغدادي: المصدر السابق، ص117.
(7) عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص318 – 319، عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2009، ص219 – 220.

وكان من أبرز مؤرخي داود باشا هو عثمان بن سند البصري الوائلي الذي ولد في جزيرة فيكلة شمال الخليج العربي، وانتقل الى الاحساء، ثم سكن البصرة، ودرس على كبار علمائها، وعمل مدرساً في بعض مدارسها، وكان مالكي المذهب، وأخذ يتردد الى بغداد، والتقى بعلمائها، وتأثر بالحياة الفكرية فيها، وحصل على اجازاتهم، وبرز في الشعر الذي غلب عليه التعصب الطائفي، وكان اغلب شعره ابيات رد فيها على الشاعر دعبل الخزاعي في رثاء آل بيت النبي(ص)[1]، وقد توثقت علاقته بداود باشا منذ أن كان الأخير في منصب الدفتردار أيام الوالي سليمان باشا الصغير، وعندما أصبح داود باشا والياً على بغداد، كلف عثمان بن سند بكتابة سيرته، فشرع بالكتابة عام 1825، وبدأ المؤرخ كتابه الذي سماه((مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود))، من عام 1774 وانتهى عام 1826، أي منذ ولادة داود باشا حتى وفاة المؤرخ في عام 1826، وقد ذكر عثمان في كتابه مشاهير العلماء المعاصرين لداود باشا أو قبله ممن لهم علاقة بداود باشا، فضلاً عن أن الكتاب جاء عبارة عن سيرة شخصية لحياة داود باشا، وقد طبع الكتاب طبعة حجرية عام 1304هـ، ثم اعيد طبعه في مصر عام 1371هـ ايضاً، ولم يقتصر عثمان بن سند على كتابه مطالع السعود، وأنما له مؤلفات اخرى منها ((أصفى الموارد من صلصال احوال مولانا خالد))، وهو في سيرة الشيخ خالد النقشبندي، وكذلك كتاب ((سبائك العسجد في اخبار نجل زرق الاسعد))، وهو في سيرة احد اعيان البصرة[2].

وكان محمد بن حمد البسام التميمي وهو بغدادي الاصل، أديباً وعالماً بأنساب العرب وقبائلهم، وكانت له صلات وثيقة بالقنصل البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج، والف كتاب في قبائل العرب، وهاجر الى مكة حيث توفي فيها عام 1831، ومن أهم أثاره، ((الدر الفاخر في اخبار العرب والاواخر))، وقد ذكر فيه أحوال العرب في عصره، ورتَّبه على ثمانية فصول حسب مواقع القبائل العربية وابتدأ بقبائل اليمن وانتهى بقبائل حلب[3].

وينتمي محمد أمين بن علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي الذي ولد في بغداد الى أسرة ارستقراطية نزحت من الدور وسكنت بغداد عام 1688م، ودرس على يد والده وكبار علماء عصره، وبرز في مختلف علوم الحديث والتفسير والقراءات العربية والحساب والمنطق والفلك، وله مؤلفات تاريخية عدة منها:((سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب))، وقد رتبه بثلاثة عشر باباً، واعتمد في كتابه على كتاب نهاية الادب لأحمد بن عبد الله النقشبندي، وتوفي في بغداد عام 1830[4].

الشعراء والادباء في عهد داود باشا

وكان للشعراء دور بارز في احياء الثقافة العربية، وقد برز في عهد داود باشا شعراء كان أبرزهم الشيخ صالح التميمي وهو ابن الشيخ درويش بن الشيخ زيني التميمي، ولد في الكاظمية التي نشأ وترعرع فيها، ودرس على الطريقة القديمة، وتوفي والده وهو مازال صغيراً، وهاجر الى النجف لتحصيل العلم، وكان متأثراً بأبي تمام الشاعر العربي المعروف، حتى أنه حفظ الكثير من شعره وهو لم يبلغ سن الرشد، وعندما أقام في النجف وطد علاقته برجال قبيلة الخزاعل، فأكرموه واجزلوا له العطاء، وقد ذاع صيته، ووصلت اخباره الى داود باشا، فاتصل به، ونشأت بينهما علاقة ودية متينة، فلما تولى داود باشا الحكم في بغداد عينه كاتباً في ديوانه، واتصف بأجمل ما يتحلى به الانسان، فكان خفيف الطبع عذب الروح حلو المعشر حاضر النكتة، وكان صورة صادقة من أبي تمام في حدة ذكائه وسرعة خاطرته وسعة ثقافته الادبية، وكان كثير العلم بالأنساب وحوادث التاريخ[5].

(1) محمود شكري الالوسي: المسك الاذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق د. عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط1، بغداد، 2007، ص340 – 346.
(2) محمود شكري الالوسي: المسك الاذفر، المصدر السابق، ص340 – 346، عباس العزاوي: تاريخ العراق، المصدر السابق، ص332 – 333، عماد عبد السلام رؤوف: المصدر السابق، ص221 – 223.
(3) المصدر نفسه، ص228.
(4) المصدر نفسه، ص230.
(5) محمد مهدي البصير: نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1946، ص72– 79.

وللشيخ صالح التميمي أثاره عدة منها، شرح العقول في غريب المنقول، وقد أرخ فيه للوزير داود باشا واعماله، ووشاح الرود والجواهر والعقود في نظم الوزير داود، ترجم فيه لشعراء داود باشا، والاخبار المستفادة من مناداة الشاه زاده والروضة وهو ديوان صغير وكذلك ديوانه[1].

وكان عبد الباقي أفندي العمري وهو أحد أبناء الاسرة العمرية في الموصل، قد ولد هناك عام 1204هـ، ونشأ تحت رعاية والده، وأصبح موضع إعجاب الجميع لما اتصف به من ذكاء وألمعية، عين نائباً لوالي الموصل، ثم اختير لولاية الموصل عام 1831م، وتميز بمواقفه الوطنية ولاسيما توسطه في أنهاء المنازعات بين ولاة بغداد وبعض العشائر العراقية، وتوفي عام 1278هـ[2]، وخلف الشاعر العمري أثاراً مهمة منها: ((اهلة الافكار في معاني الابتكار)) و((نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر)) وهو كتاب ادب وترجمة لبعض الاشخاص، والترياق الفاروقي في وبرز عبد الغفار الاخرس كأحد الشعراء في عهد داود باشا، وولد في الموصل عام 1221، ونشأ في بغداد، وتنقل في أنحاء العراق، واتصل بداود باشا، الذي ارسله الى الهند لمعالجة للكنة في لسانه، ولكنه رفض اجراء عملية غير مضمونه، وتوفي في البصرة عام 1290هـ، وكان الاخرس حسن العقيدة، حاد الذكاء، نافذ الفطنة، سريع الخاطر، إلا أنه مسرف في ارضاء شهواته ولذاته، وكان صديقاً حميماً لداود باشا، وظل وفائه لداود حتى بعد عزل داود عن ولاية بغداد، كما كانت للأخرس علاقة حميمة بالشاعر عبد الباقي العمري وقد تميز اغلب شعره بالمجون والخلاعة والخمر[3].

الخاتمة

1- إن حكم داود باشا هو امتداد لحكم المماليك لولاية بغداد، والذي بدأ منذ عام 1749م، وفي الوقت نفسه مثّل نهاية حكمه عام 1831م نهاية لعهد المماليك.
2- على الرغم من إصلاحات داود باشا الاقتصادية والعسكرية إلا أنه لم يجد حلاً لكثير من المشاكل التي عانى منها سكان ولاية بغداد لاسيما مشكلة العشائر.
3- أولى داود باشا اهتماماً بالمساجد والمدارس سواء بنائها أو ترميمها وهذا يعود الى الثقافة الدينية التي تمتع بها وتأثره برجال الدين الذين تلقى العلم على أيديهم، فشهدت بغداد في عهده نهضة كبيرة وشاملة في انتشار العلم والعمارة الاسلامية.
4- كان للثقافة التي تمتع بها داود باشا أن قرب اليه العلماء والادباء والمؤرخين والشعراء مما كان له الاثر في أن تستعيد بغداد في عهده مكانتها العلمية التي فقجتها منذ قرون خلت، ولهذا عدت مدة حكمه بداية لنهضة العراق الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

1. باقر أمين الورد: بغداد- خلفائها ولاتها ملوكها رؤسائها منذ تأسيسها عام 145هـ 762م الى عام 1404هـ 1984م، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984.
2. ثامر عبدالحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، مكتبة الصفا والمروة، لندن، ج1.
3. جمال الدين فالح الكيلاني: الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصر، مؤسسة مصر مرتضى، بغداد، 2011، ص211.
4. حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ ايران السياسي، المجلد الثالث، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.
5. حميد حمد السعدون: امارة المنتفق واثرها في تاريخ العراق والمنطق الاقليمية 1546-1918، دار وائل، عمان، 1999.
6. رسول الكركوكي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمه موسى كاظم نورس، بيروت، 1963.
7. ستيفن همسلي لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت جعفر خياط، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، 1941.

(1) المصدر نفسه، ص80 – 81.
(2) المصدر نفسه، ص89 – 91.
(3) المصدر نفسه، ص114 – 119.

8. سليمان فائق: تاريخ بغداد، نقله الى العربية موسى كاظم نورس، مطبعة المعارف، بغداد، 1962.
9. سليمان فائق بك: تاريخ المماليك الكولة مند في بغداد، ترجمة احمد نجيب ارمنازي، مكتبة المعارف، بغداد،1961.
10. عادل مدلول علي: عفك في العهد الملكي 1921–1958، مجلة مركز الدراسات البابلية، المجلد 9، العدد1.
11. عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1962.
12. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، المجلد السادس، مكتبة الحضارات، بيروت.
13. عبد الحميد عبادة: العقد اللامع في تاريخ بغداد والمساجد والجوامع.
14. عبدالرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، 1961.
15. عبدالرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، الجزء الاول، مكتبة الزعيم، بغداد، 1962.
16. أحمد علي الصوفي: المماليك في العراق، الموصل، 1952.
17. عبدالعزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.
18. عبدربه سكران الوائلي: تاريخ الامارة البابانية الكردية، دار الثقافة والنشر الكردية، بغداد، 2012.
19. عثمان بن سند البصري: مطالع السعود بطيب اخبار الوالي، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية،1371هـ، 1991.
20. علاء موسى كاظم نورس: حكم المماليك في بغداد 1750 – 1831، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، 1975.
21. عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، 2009.
22. فاطمة شمخي هندي الغريباوي: الحركة الفكرية في بغداد 1869–1914، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1999.
23. كريم مطر حمزة: الحلة في عهد داود باشا، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، المجلد1، العدد3، 2009.
24. محمد سعيد الراوي: خير الزاد في مساجد وجوامع بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بغداد، 2006.
25. محمد سعيد الراوي البغدادي: تاريخ الاسر العلمية في بغداد، حققه وعلق عليه د. عبد السلام رؤوف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997.
26. محمد مهدي البصير: نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، ط، 1946.
27. محمود شكري الالوسي: المسك الاذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق د. عبد الله الجبوري، الدار العربية للموسوعات، ط، بغداد 2007.
28. محمود شكري الالوسي: تاريخ مساجد بغداد واثارها، تحقيق عبد الله الجبوري
29. مصطفى بركات: الالقاب والوظائف العثمانية 1517–1924، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،.
30. المنشئ البغدادي: رحلة المنشئ البغدادي، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد، 1948.
31. نضال ابوجواد امانة الكرعاوي: القوقاز: دراسة في الصراع الروسي الايراني1501–1828، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، 2016،ص8–10.
32. يوسف عزالدين: داود باشا ونهاية المماليك في العراق، منشورات دار البصري، بغداد، 1967.
33. يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: تاريخ مساجد بغداد الحديثة، مطبعة الامة، بغداد، 1977.